

دوري كشاف في حل مشكلة



1- لنضع أسئلة من قبيل: أين تكمن المشكلة؟ مَن السبب فيها؟ هل أنا الذي تهورت وتعجلت وارتكبت الحماقة؟ هل الخوف هو الذي دفعني إلى ذلك، أم الغيرة، أم الانتقام، أم ماذا؟ هل يمكن أن أكفر عن خطئي، أو أعترف بذنبي، أو أقر بضلوعي في الخطأ؟ وما هي الأبواب التي يمكن أن أخرج بها من هذا المأزق؟ صاحب المشكلة كمحامي الدافع يحاول أن يدرس أوراق أو ملف القضية كلّها.. يبحث في أدق التفاصيل.. لا يغادر شيئاً إلا درسه.. كُن حِكَماً عدلاً.. والعدالة في الحكم قد تتطلب الاعتراف والاقرار بالذنب، وقد تتطلب تبرئة الطرف الآخر، أي أن تقول الحق ولو على نفسك وأن تنصف خصمك.. هل نحن على استعداد لذلك؟ قد تبدو المسألة صعبة بعض الشيء، لكنّ امرأة العزيز التي غرقت في الإثم فأغررت يوسف (ع) بارتكاب الخطيئة، ثم سجنته بغير حقٍّ واتّهمته بما لم يفعل، لم تبق متلبّسة بالجريمة حتى النهاية، فلقد سمعناها تعترف: (وَلَقَدْ رَأَوْدُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) (يوسف/ 32). (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَْارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبُّهُ) (يوسف/ 53). (الآنَ حَصْحَصَ الْجَحَقُ أَرَادَ رَأْدُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) (يوسف/ 51). إنّ إيمان الإنسان المؤمن أكبر من خطئه، وإنّ الحق عزيز عليه بل هو أعزّ من نفسه. قيل له (أرسطو) الفيلسوف اليوناني الشهير: كيف تُعارض أستاذك (أفلاطون)؟! أجاب: أحبّ أستادي، لكنّني أحبّ الحقيقة أكثر من أفلاطون!! ولذلك، فالحقُّ أحقُّ أن يُتّبع، فإذا أراد أحدنا أن

خطوة قصيرة واحدة يمكن أن تُقرّب المسافة.. لماذا لا أجرّب ذلك. 4- ما هو صحيح على (ضوء الفانوس) ليس دائماً صحيحاً على (ضوء الشمس)، لماذا أبقى أناقش المشكلة لوحدي..

الطرف الثاني له رأيه فيها.. لأذهب إليه وأستمع منه. 5- إذا أردت تنظيف (الدرج) بشكلٍ جيدٍ فلابد من الأعلى. 6- مَن يقوم بالخطوة الأولى بشكلٍ سيئ، سوف يخسر اللَّاعب دائمًا، إذن عليّ أن أدرس خطتي الأولى بعنايةٍ تامةٍ، لأنّها (المفتاح).. فإن تعرف البداية جيدًا، هذا يعني أن النهاية لن تزعجك أبداً.. لأنّكَدْ أَنْـي على صواب ثمّ أقدم. 7- كُن كالحياة التي تأخذ دائمًا شكل الواقع الذي توضع فيه.. المرونة في الحلـ مطلوبة، سأحمل معي حلولي واقتراءاتي، لكنّني لن أتصعّب أو أتشدّد في فرضها عليه، فمن يُغربل كثيراً سوف يحتفظ بالقاذورات! 8- إذا كانت يدي قادرة على فك العقدة، فلماذا أستعملُ أسنانِي في حلّـها؟! 9- إذا رميتُ الحجارةـ في الظلام فقد أقتل أخي.. دعني لا أتهوّر في الموقف منه. 10- إذا أردتـ صيد السمك (تليين قلب الطرف الثاني تمهيداً لحلـ المشكلة)، لا يكفي الذهاب إلى النهر (ملاقاته).. بل عليّـ أن آخذ معي الشبكـ (الكلمات المنتقاة بعناية). 11- يمكن أن لا أهدم جداراً لكي أرمـ جداراً.. أنا ذاهب إليه لأصلح ما بيننا لا لكي أزيده خراباً. 12- ينبغي عليّـ أن أبحث عن الثقب الموجود في الشبكة.. هذا هو الذي يمكنني أن أتسرب منه. كم هي دقّقة ورائعة وعمليّة نصيحة على بن أبي طالب (ع) في هذا المضمار: "إِقْلِعْ الشَّرْ مِنْ صَدْرِكَ أَخْبِرْ بَقْلَعَهُ مِنْ صَدْرِكِكَ"ـ إنّها وصفة ناجحة ومجرّبة في حلــ الكثير من عقد الخلاف، لو حظيت بأذن واعية تعيها، ونفس عاقلة كبيرة تدركها، وجوارح متوازنة تحفظها وتستحضرها في أوقات الانفعال والشجارـ والغضب والمحاصمة. إنّك بهذا تُجري عمليةـ (طرح) لا عمليةـ (إضافة)، فمواجهة السوء أو الشرـ بمثله أو بأفطع منه زيادة في حطب النار وفي الزّيت المُراقـ عليها.. أمّا قلعـ الشرـ من صدركـ فنزعـ لفتيلـ حرب.. وماءـ لإطفاءـ نار.. إنـ الآخرـ في المشكلةـ كالمسابـ بالحُمّىـ، عليــ أن أستخدمـ معـهـ الـكمـاداتـ الـباردةـ! تأمـلـ فيماـ فعلـهـ صـاحـبـ هذهـ المـقولـةـ نفسـهـ.

فلقدـ كانـ عليــ (ع)ـ يُردــ مـقولـةـ: "سـلـونـيـ قـبـلــ أـنـ تـفـقـدــ وـنـيـ"ـ،ـ فـقامــ لـهـ شـخصــ وـقـيلــ كـانــ منــ مـهـوــةــ الـعـربــ (ـيـهـودـيـ عـربـيـ)،ـ فـقـالــ لـهـ: "ـأـيــهـاـ الـمـدـعـيــ مـاـ لـاـ يـعـلـمــ،ـ وـالـمـقـلـدــ مـاـ لـاـ يـفـهـمــ،ـ أـنــ السـائلــ فـأـجـبــ"ـ.ـ فـشـعـرــ أـصـحـابــ عـلـيــ (ـعـ)ـ بـالـإـسـتـيـاءــ وـهـبـــ وـهـبـــ لـتـأـدـيــبــهــ (ـلـيـخـلـقـواـ مشـكـلـةــ)ـ،ـ فـقـالــ لـهـ: "ـإـنــ الطـيــشــ لـاـ تـقـومــ بـهــ"ـ فـيــ مـواـجـهـةــ مشـكـلـةــ)،ـ غـيرــ أـنــهــ أـمـرـهمــ أـنــ يـجـلـسـواـ،ـ فـقـالــ لـهــ: "ـإـنــ الطـيــشــ لـاـ تـقـومــ بـهــ"ـ حـجـجـــ،ـ وـلـاـ تـظـهـرــ بـهــ بـرـاهـيــنــ الـلـهــطــ،ـ ثـمــ التـفـــ إـلـىــ ذـلـكــ الرـجــلــ،ـ وـقـالــ لـهــ: "ـإـسـأـلــ بـكــ"ـ لـسـانــكــ،ـ وـماــ فـيــ جـواـنــهــ"ـ.ـ وـمـثـلــ هــذـاـ حـدـثــ فـيــ مـسـجـدــ الـكـوـفــةــ عـنــدــمــ اـلـقــعــقـــ أـحـدــ الـخــواـرــجــ عـلـيــ (ـعـ)ـ،ـ فـقـالــ: "ـقـاتـلــهــ إـمـاـ مـاـ أـفـقـهــهــ كـافـرــ"ـ!ـ وـهـيــ شـتـيمـةــ كـبـرــيــ لـأـنــهــ تـكـفــيرــ،ـ فـأـرـادــ الـحـاضــرــ تـأـدـيــبــهــ فـنـهــاـهــمــ عـلـيــ (ـعـ)ـ،ـ وـقـالــ: "ـإـنــ مـاـ هــوــ ســبــ"ـ بـســبــ"ـ،ـ أـوــ عــفــوــ عــنــ ذــنــبــ"ـ.

واختار (ع) الثاني، لأنّه يكره أن يكون سبباً، فينزل إلى مستوى شاتمه، فتكون المشكلة أعقد.

5- حسن الظنّ الزائد.. الطّيبة المفرطة لدرجة السّذاجة.. تعتبر حفلاً خصباً للمشاكل العارضة، فالمستغلّون كثيرون.. والذئاب البشرية من حولنا ليست قليلة، والمتلعبون بالقيم والأخلاق وأولاد الحرام منتشرون هنا وهناك، فإذا ما ساءت أخلاق الناس في مجتمع ما وأحسنتُ الظنّ، فقد أكون أوقعتُ نفسي في مشاكل قد يتعدّر حلّها، ولذا فإنّ المقوله القصائية: "القانون لا يحمي المغفلين"، ينبغي أن تكون كإشارة مرور حمراء تشتعل - في الوقت المناسب - لتنبهـ هنا إلى الخطر. إنّ افتراضك أنّ الآخر هو مثلك في الطّيبة وحسن الخلق والالتزام والوفاء والصدق - في الواقع يكثر فيه السوء - يعطي للأخر فرصة استغفالك واستغلالك وإيقاعك في مشاكل قد لا تخطر لك على بال. ولذلك فإنّ الحلّ هو أن تبدأ بـ(الشكّ) وتنتهي بـ(اليقين)، لكي لا تكون كالمغفل أو المغرّر أو المخدوع.

6- هناك أماكن مشبوهة ترسم حولها علامات الاستفهام والتعجب، فإذا ما ارتادها الشاب أو تواجد فيها، فإنّه سيكون مطئّة التهمة ويضع نفسه في موضع الرّيبة والشك والشبهة، وقد لا يجد من يعذرها أو يغفر لها ترددـه على الأماكن الموبوءة المثيرة للشكوك، وصادق مـن قال: "مـن حامـ حولـ الحمىـ، أوشكـ أنـ يقعـ فيـ هـيـهـ". إنّ بعض المشاكل قد تنجم عن عدم أخذ الحيطة والحذر، والاسترسال الذي يوقع في الزّلل، وقد جاء في الحديث: "إنّ صرعة الاسترسال لا تستقال". أي أنّها صرعة لا ينهض المقصود بعدها، لأنّها القضية.

7- تتلبّس بعض المفاهيم والمصطلحات بأكثر من لبوس، فتخلق العديد من المشاكل بسبب التفاوت في فهمها والتعاطي معها. فقد يظن بعض الشبان - بمحض المصادفة - أنّ من "الشطارة" أن يخدع غيره ويدلّـس عليه ويذبح ويغشّـ ويفترى. وقد يرى البعض من الشبان والشابات أن "الصدقة بين الجنسين" أمر لا ريبة فيه، وأنّها بريئة تماماً كما هي الصدقة بين أفراد الجنس الواحد، وقد يرى آخرون أنّ "البطولة" هي في أن تستعرض عضلاتك لتمارس عنفك ضدّـ الضعفاء، وأنّ "المزاح" مستملاج مستظرف فيترك لنفسه أن يسخر من إخوانه ومعلمـيه وأصدقائه فيرسل الكلمات الجارحة النابية لإضحاك الآخرين بحر كramaـ صديق أو زميل، وقد يرى البعض أن غناء أهل الفسق والفحotor "فنـ" وما إلى ذلك. إنّ معانـي هذه المصطلحات الغائمة المطّاطـة إذا لم تُحدّـد بشكل علمي، بحيث نضع بينها وبين المعاني الصحيحة التي ترمي إليها مسافة واضحة، فإنّها تخلق المشاداتـات والمشاجرات والمصادمات، فالشطارة - مثلاً - هي في المرءة والفتـاة والذكاء والفتنة والإبداع، والصـدقة غير العلاقة بين الجنسين، والبطولة في نصرة المظلوم وردع الظالم وإغاثة المحروم واسترداد الحقـ المنهض والمواقف الجريئة والمشـرة، وفي الصدق في المواطن المختلفة. والمزاح إذا خرج عن حدود اللــياقة والأدب، أذهبـ بالهيبة وأسقطـ الاحترامـ وانتهـ حـرمةـ الأخـوةـ

والأبوة والزّمة والمصداقه. 8- أفكارنا الصحيحة لا يكفي في صحتها أن تقال بأي شكل من الأشكال، فلا بد من وسائل سليمة وكريمة وصحيحة للتعبير عنها حتى ندخل العقول عن طريق القلوب، أمّا إذا طرحناها على نحو الفرض والإلزام، أو في أجواء متشدّجة يغلب فيها الإنفعال على حسن المقال، فإنّنا نخسر بذلك خسارتين: أفكارنا الصحيحة التي لم نعدّر عنها بشكلٍ صحيح، والآخرين الذين نريد أن نكسبهم إلى صالح أفكارنا. إنّ المشاكل الناجمة عن الصّراعات الفكرية أو العقائدية - في الأعمّ الأغلب - ناتجة عن أساليب منفرّدة تُحدّد ولا تقرّب وتعادي ولا تؤاخى وتفرّق ولا تجمع. 9- المسؤولية في المشكلة يجب أن تُحدّد: من هو المسؤول الأوّل والأخير؟ فلا يجب أن نضيف إلى المشكلة مشكلة أخرى أو نتوسّع فيها باتّهام آخرين لا علاقة بالأمر: (وَلَا تَزَرْ رُوْحًا زَرَةً وَرَأْيًا خَرَى) (الأنعام / 164)، أي حمّل الطرف المعنى المسؤولية إلا إذا ثبتَ لكَ بالدليل أنّ هناك أطرافاً أخرى حرّضتهُ أو زادت الطّين بلّة، وعلى ضوء هذا تصرّف.